مداخلة بعنوان:

مرجعية الأنسنة الرمزية الثقافية في تطبيع أصالة علم اجتماع عربي

الأستاذة: محمداتني شهرزاد

"جامعة أدرار"

الملخص:

بزغت منذ فجر التاريخ العديد من الثقافات الإنسانية بدافع الفطرة، إذ كان الهدف من وراء ذلك المحافظة على الذات والهوية الإنسانية، مستخدمة وسائل وطرق عديدة، وباعتبار الثقافة جزء من الكيان الإنساني،

نجد الكثير من استخداماتها جاءت متماشية مع ظهور الإنسان كروح وجسد في آن واحد، مروراً بمختلف الأوساط الحضارية وعديد المجتمعات الإنسانية، والتي من خلالها أصبح الإنسان عنصر فاعل حقيقي لظهور الكثير من الظواهر الاجتماعية التي يعنى بدراستها حقل السوسيولوجيا منذ ظهوره على المستوى الأوروبي والعربي, بالاستعانة في تحليل ظواهره بالكثير من المقاربات النظرية و الإسهامات الفكرية الغربية، من خلال اسقاط المرجعية النظرية بأطرها الفكرية على واقع المجتمع العربي بصورة خاصة، بغض النظر عن أصول توجهاتنا و خصوصياتنا الثقافية والدينية و اللغوية والفكرية والقيمية التقليدية التي تبرز بصورة جوهرية حقيقة المرجعية و الانتماء الأصيل.

وعليه، فإن ذلك الواقع يمثل دافعاً حقيقا للمزيد من التقسيات البحثية في محتوى المصادر المرجعية التي تولي اهتماما بالغا للإنسان من زاوية ترستانته الرمزية الثقافية ومدى فاعليتها في التناولات الحقيقية لعام الاجتماع في العصر الحديث هادفين من خلال ذلك نحو التخلص تدريجيا من السوسيولوجيا الغربية،من خلال الاعتماد على المقاربة الرمزية الثقافية على انها إحدى الدعائم في إرساء أصالة وتجديد في علم الاجتماع بصورة خاصة، وعليه سوف يكون التركيز في هذه الورقة البحثية على مختلف التجليات للمقاربة للأنسنية الرمزية الثقافية ودورها في إعطاء معالم لأصالة علم الاجتماع العربي.

1- مفهوم الثقافة:

نجد في مجال تحديد الاطر المعرفية لمضمون الثقافة، عديد المحاولات التي حاولت تقديم مضمون تعريفي يفي بمعناها الشامل انطلاقا من اتجاهات معينة ،معتمدين في ذلك على ابعاد و معايير معينة، سوف نحاول تقديمها و عرضها بشئ من التفصيل.

1-1-تعريف تايلور:

هذا التعريف يمكن اعتباره المعتمد في مجال العلوم الاجتماعية الحديثة وذلك باعتبارها "ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعرفة والعقيدة والفن و التقاليد وأي قدرات وعادات أخرى يتعلمها الإنسان كعضو في المجتمع[1].

أما العالم الأنثربولوجي لسلي وايت، إذ يحدث علاقة بين مفهوم الثقافة عند الإنسان بقدرته على إعطاء معاني للأشياء والتي تسمى بالقدرة الرمزية التي تمكن الانسان بفهم معاني الأشياء ويمكن تلخيص مضمون تعريفه للثقافة على أنها تلك القدرة الرموزية عند الإنسان.

فحسب وايت فإن الثقافة تأخذ ثلاث مســـويات:

- ✓ المستوي الأول: يشمل أن الثقافة توجد في الأعضاء البشرية، كالأفكار والمشاعر،
- ✓ المستوى الثاني: توجد في السلوكيات بين الأفراد،
- ✓ المستوى الثالث: في الأشياء.

[1] محمود الذوادي، **الثقافة بين تأصيل الرؤية الإسلامية واغتراب منظور العلوم الاجتماعية**، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط1، 2005

أخذت التناولات الموضوعاتية لقضية الثقافة عنصر الانسان باعتباره الفاعل الحقيقي في فهم المجتمع، وتفسيير مختلف ظواهره التي تتخذ من مركز الفرد مختلف التحاليل المتموضعة داخل المجتمع بمختلف نشاطاته[2].

2- اتجاهات فهم الثقافة:

تباينت وجهات النظر حول المحتوى الحقيقي للثقافة ومجالات استخداماتها والأفكار الحقيقة التي تحتويها,خاصة تلك المضامين المتعلقة بقضية الرموز الثقافية من عادات وتقاليد وقيم ودين, والتي من خلالها نستطيع معرفة هوية الانسان وميولا ته المجتمعية والسلوكية ودرجة احتوائه في نطاق مجتمعه,ومعرفة مستويات ولائه للضمير المجتمعي,

وفيما يلي سنتعرض لهذه الاتجاهات بنوع من التفصيل:

الاتجاه الأول:

يرى أنصار هذا التوجه ان مجال الثقافة السلوك البشري الاجتماعي أي أن الثقافة لا يمكن فصلها على إطار الواقعية الاجتماعية للأفراد ضمن نطاق المجتمع وعليه يمكن فهم الثقافة في ضوء الألفاظ والعادات وقواعد العرف والتقاليد المكتسبة وكافة النظم الاجتماعية.

الاتجاه الثاني:

[2]- يان سبورك، ترجمة حسن منصور الحاج، **أي مستقبل لعلم الاجتماع**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2009،

يرى في مضمون الثقافة على أنها مجموع التصورات والأفكار والقيم, أي أنها ترتبط بالسلوك المجرد لا بالسلوك الواقعي حيث وضع حدودا لعدم اعتبار المكونات المادية تدخل ضمن عناصر الثقافة[3].

3-اسهامات النظرية الرمزية في مدلول الثقافة:

والتي تعتبر أن الانسان أو الفرد بإمكانه أن يضفي الرموز على الأشياء ليمنحها معاني ومضامين معرفية متميزة من خلال استعمال اللغة التي تسهل عليه امكانية اعطاء وتقديم معاني وأفكار وعواطف وأحاسيس, خاصة وأننا نحاول التركيز على الأفراد في نطاق المجتمع من خلال الإهتمام بجميع المكونات السلوكية للإنسان من اتجاهات ومعاني للأشياء وقوانين ...إلخ

وعليه نجد ضرورة فهم الرموز الثقافية في ضوء علائقها ببعض الجماعات أو المجتمعات الإقليمية ذات الأنساق الثقافية المتميزة[4]

في مجال الحديث عن مفهوم الثقافة نجد أنه يوجد اتجاه متمركز بصورة واضحة في توجه تايلور على انها كلمة تمكن من التفكير على نطاق الإنسانية كافة[5]

---

[3] - محمد عباس ابراهيم, **الثقافة والشخصية**, دار المعرفة الجامعية, ط1 , الاسكندرية , 2009، ص: 26.

[4] - محمد عباس ابراهيم,**نفس المرجع السابق**, ص: 31

[5] - دنين كوش, مفهوم الثقافة **في العلوم الاجتماعية**, ترجمة منير السعيداني, مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ط1, 2007, ص:32

إن تميز الإنسان عن غيره من الحيوانات يمثل الشكل الواضح في الكثير من آيات القرآن فمصدر انفراد الإنسان يعود إلى تميز الإنسان بالرصيد الضخم من الرموز الثقافية, ومهاراته الهائلة على استعمالها في شتى المجالات والمواقف.

وعليه فإن تواجد علم قائم بذاته, يركز على هذه المضامين ألفكرية ويهتم بالإنسان وبرموزه الثقافية منذ نشأته الأولى, فإن ذلك سيساعد على تأصيله ابستيمولوجياً, والذي يقتضي ربط الفكر الاجتماعي بالأصول الابستمولوجية للثقافة الإسلامية العربية.

إن النظرة الحديثة لتوحد العلوم بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية ضرورة ملحة نادت بها الكثير من الإتجاهات الفكرية الحديثة والتي يمثلها الرجوع إلى القرآن الكريم باعتباره منبع الثقافة الإسلامية العربية, هذه الأخيرة سباقة على المستوى الفكري والتطبيقي إلى تبني الرؤية الإبستمولوجية التوحدية للمعارف والعلوم, فالقرآن يمثل كتاب الثقافة الإسلامية العربية, يتضمن محتوى آياته جوانب متعددة تركز على وحدانية الخالق ومنه وحدانية الظواهر الكونية رغم تنوعها, لقوله "تعالى "وجعلنا من الماء كل شئ حي ", والذي يمثل أبلغ تعبير على وحدة الإبستمولوجيا في العلوم والمعارف البشرية [6]

[6] - محمود الذوادي,نفس المرجع السابق,ص:152

إن تلك الرؤية الجديدة للمرجعية الفكرية الموجهة بصورة خاصة نحو أنسنة الرموز الثقافية توجهنا للاهتمام بالإنسان وبعالم رموزه المتمثلة بصورة جوهرية, اللغة الدين والعلم والفكر والقيم والتقاليد الثقافية التي ينفرد بها العالم الثقافي للإنسان.

وعليه فالنظرة العربية الإسلامية من خلال تبني أنسنه الرموز الثقافية والبشرية تعتبر مساهمة تنظيرية ينفرد بها حقل العلوم الاجتماعية بصورة عامة وعلم الاجتماع بصورة خاصة, والمتضمنة الرموز الثقافية والبشرية متغيرا مستقلا في هوية الانسان من خلال التأثير في سلوكياته وفي سيرورة الحركية الاجتماعية للمجتمعات البشرية

إن الإقرار بحتمية دراسة الرموز البشرية والثقافية متغيرا أساسي للذاتية البشرية يقودنا إلى حتمية بناء تحليل سوسيولوجي ذي برنامج قوي[7].

ومما سبق، يمكن القول بأن الرؤية الجديدة ذات التوجه التثميني لقيم الرموز الثقافية يستوجب دافعية مفكري العلوم الاجتماعية إلى دمج الدين والاستعانة به في فهم وتفسير الظواهر المدروسة في نطاق المجتمع [8]

[7] - محمود الذوادي, **المقدمة في علم الاجتماع الثقافي برؤية اسلامية عربية,** المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر, ط1 ,2010, ص: 110.
[8] -نفس المرجع السابق, ص:156

الخاتمة:

إن اسهامات عالم الاجتماع وعلم الاجتماع بصورة عامة ترمي إلى ضرورة اتخاذ اسلوب للدفاع عن هويته السوسيولوجية ومنها الدفاع عن موقفه ومن أجل تشريع نفسه وإعطاء معنى لأعماله ولوجوده, وعليه فإنه يبتدع لنفسه نظرية يستند عليها بطريقة معينة ويحاول تطبيقها وإقناع الآخرين بحتميتها, إلا أن هذا الأسلوب يمكن فشله وثبات عدم مصدقياته من خلال الرجوع إلى الواقع الفعلي للفرد في نطاق تفاعله مع بيئته الرمزية الثقافية,فنجد هذا الانسان منجر إلى مجتمعه برباط إجماعي متماسك لا يستطيع فكه مهما كلفه الأمر,فما عليه إلا الانصياع و الولاء لذلك المجتمع والعمل على اتخاذ أسلوب المحافظة على أصالة الموروث الثقافي من جهة وعلى أصالة علم الاجتماع من جهة ثانية, وفي هذا المقام توقفنا فكرة مالك بن نبي حول اعتماد الفكرة الدينية لانطلاقة حقيقة للمشروع الحضاري وصولا إلى تأسيس حضارة,ومنه فضرورة الاهتمام بالإنسان وبثقافته الرمزية بمختلف متغيراتها ضرورة لا مناص منها في إمكانية منح أصالة لعلم الاجتماع و لحقل السوسيولوجياغيرالسوسيولوجيا الغربية.

إن ما تحتاجه العلوم الاجتماعية بصورة عامة منح الرموز البشرية والمقصود بها الثقافة البرنامج القوي في البحوث الميدانية,معنى ذلك أن الرموز البشرية و الثقافية لا بد لها ان تكون متجلية ومستخدمة في بحوثهم وتنظيرتهم الفكريةو هذا ما لم نلمحه في علم الاجتماع الغربي منذ بدايته الأولى.